الإنتاج الجديد

١ ـــ مع الحياة

تأليف سلوى محصاني مومنة

دار العلم للملايين ، بيروت ـ ١٨٤ ص

•

الادب النسائي في لبنان نزر نادر ، اذا قيس بوفرة الانتاج وغزارته لدى البلاد الراقية . وهذه « الندرة » تجعله ذا طابع خاص ، متميز عما يدور في اجوائنا الادبية الراهنة من احداث وقضايا ومشاكل . ووراء تميزه هذا ، سببان : اولهما انه نسائي ، وكونه نسائياً يعني انه صادر عن نظرة خاصة للحياة والمجتمع والشؤون العامة ، قلما نعرفها في بلادنا العربية ، وقلما نحسب لها حساباً . والثاني انه متصل بقرارة الحياة ، معني بتفصيلاتها ودقائقها ، معبر عن واقع لا يشوبه خيال ، ولا يصرفه عن ادراكه وتصويره اشتغال بالاحزاب والسياسات ..

وهذا الكتاب الذي ألفته السيدة سلوى محصاني مومنة ، يؤكد بشكل واضح تقريراتنا تلك ، ويضعها موضع اليقين ، فهو مجموعة « حكايات » تعرض فيها السيدة المؤلفة حياة المجتمع البيروتي الخالص ، خلال هذه الفترة من تاريخه ، عرضاً موفقاً رائعاً ، في صور هي الصدق ، وهي الواقع ، وهي الخفي من المعاني والقيم عن اعين الناس .

يضم هذا الكتاب بين دفتيه خمس عشرة حكاية هي : الحاجة حنيفة ، اطلت من الشباك ، اليتيمة ، آديل ، المسافر ، شملة تنطفيء ، المغدورة ، اولت لنا قطة ، برسم الايجار ، الاخوان ، كبش الفداء ، بائع الكعك ، لصوص الظلمة ، الضحية ، الصبي .

وترى في مدخل كل حكاية جملة تلخص الفكرة التي تفصح عنها ، وتفضي اليها ، ولكنك لا تهتدي لتلك الفكرة من تلقاء مطالعتك ، وإنما هي التي تحملك على المطالعة ، وتقودك اثناء سيرك فيها .

ارجع الآن الى تلك الفكرات واحدة واحدة ، وتأمل بعد ذلك من الفصل الذي يتلوها ـ وهو الحكاية التي انبثقت منها الفكرة ـ وراقب العقل النسائي في التقاطه لما يعج به سطح الحياة من آراء وافكار ، تجد المرأة ، وهي ممثلة هنا بالسيدة سلوى ، تلتقي مع كبار المفكرين وجهابذتهم ، دون ان تحاكم الاحداث ، او تتفلسف في شأنها ، او تدور حولها .

لن اطيل عليك في الاستشهاد ، وانما اكتفي بهذه الجملة التي وردت قبل حكاية « أطلت من الشباك » وهي : « إن اعمال الانسان في مستهل حياته تكون السبب الاول لما يحمل مستقبله من سعادة او شقاء » .

هذه الفكرة التي استقتها سلوى من الحياة المدرسية التي رافقتها ـ والفرنجة يقولون : عاشتها ـ تلخص اكثر ما انتهى اليه الفلاسفة وعلماء النفس من افكار حول الصيرورة والمستقبل والمصير ، تلخصه بوضوح وبساطة ويسر في التعبير .

تأمل ما يقوله كايزرلنغ ، الفيلسوف الالماني الشهير : « كل نزعة تحمل في نفسها حدودها الراسخة ، وكل شيء يحمل في ذاته كل ما يمكن ان ينجم عنه . ولذا ، فان من الممكن مبدئياً ، ان نعيد دوماً بناء المصير ، كما يمكن ان ننتظره قبل وقوعه . »

قارن الآن هذا الكلام بتلك الجملة التي وضعتها السيدة سلوى مدخلا الى حكاية « اطلت من الشباك » ولك وحدك ان تحكم ..

الامر الذي اريد ان ابينه هو ان للمرأة فكراً ـ لم نحسن بعد الافادة منه ـ يشارف القمة في كل موضوع ، وينير النفس البشرية في تلمسها مخابيء المجهول ، وادغال الوجود . وهذا كتاب « مع الحياة » ينهض بالبرهان على ما اقول .

واليك هذه الفكرة التي تجدها قبل حكاية (شملة تنطفيء) : « ان شهوة المال في الناس ، كثيراً ما تكون سبباً لانحرافهم عن العدل . ومضيعة لانسانيتهم في مجاهل الاثم » . الا ترى فيها التعليل الصحيح لموقف الغربيين من اليهود وتأييدهم لهم في عدوانهم على فلسطين ؟! الا تجدها الاساس الذي يفسر كثيراً من المآسي الاجتماعية الدائرة في محيط المدنية الحديثة ؟ !

بقي ان احدثك عن الجانب الفني من هذا الكتاب ، وفنه انه مجموعة « حكايات واقعية » منتزعة من حياة بيروت العائلية ـ الاجتماعية ، وفي الاحياء الاسلامية منها خاصة . فهي لا تختلف في قليل ولا كثير عن حكايات « النسوان » حين يستعرضن الحياة وما فيها . والحكاية فن نسائي محض ، لا اعتقد انه اتيح لرجل ان يبرع فيه براعة النساء ، فهو غير القصة ، وغير الاقصوصة ، وغير الرواية ، وغير الامثولة ، تقوم فيه الحركة على السرد ، اكثر مما هي الحادثة في نشوئها وتطورها وتأزمها وانحدارها نحو منتهاها ، ولا تنتخب فيه التفاصيل انتخاباً حراً ، وانما تفرض نفسها من خلال السرد فرضاً يجعلك تحس بقيمتها ولو لم تكن لها اية قيمة . والمهم في فن الحكاية ، ان كل حكاية توصلك الى فكرة ، شأنها في ذلك « شأن الدرس » الذي يتلقنه الطالب في مادة الاخلاق او العلوم المدنية ، دون ان تعرض للفكرة ، او تشير اليها :

تأمل ان « الحاجة حنيفة » حكاية خادمة ماتت جوعاً ، وكانت قد تعهدت رجلاً غريباً معذباً وكفلت طفلاً يتيماً محروماً . و « اطلت من الشباك » حكاية فتاة كانت عابثة وعلقها شاب نبيل ، شريف وعلقته ، ولكنها رفضت ان تقترن به كي لا تلوث اسمه وشرفه . و « اليتيمة » حكاية فتى احب فتاة ماتت ، واختفى هو وكمكانه عن الحي بعد موتها ، واخذ يزور قبرها خفية عن الناس . وهكذا .. الى آخر الحكايات !

انت اذن امام احياء ، امام اناس ، امام اشخاص من لحم ودم ، تجدهم يعانون الوجود معاناة تامة ، كاملة ، عميقة ، وكل واحد منهم يعاني وجوده بعواطف خاصة ، وافكار خاصة ، وشخصية خاصة ، في محيط متميز خاص ، له تقاليده وعاداته وامكاناته المادية والادبية على السواء .

وابدع ما في هذه الحكايات ، تلك الدقة في الوصف ، وصف الثياب والازقة ، والاثاث ، والحالات النفسية بحيث تجد في كل حكاية « لوحة » ترسم امامك بيروت ، وحياة الناس فيها . وهي لوحة يتمثل بها العقل النسائي ، في احسن ما يمكنه ان يعطي من افكار وصور وملاحظات ودروس ، ممزوجة مزجاً هو « فن الحكاية » ، ولا سبيل الى وصفه بغير ذلك ...

٢ ـــ احاديث من القلب

تأليف السيدة اسمى طوبي

مطبعة قلفاط ، بيروت ـ ١٥٨ ص

•

وهذه اديبة ثانية ، فلسطينية النشأة والهوى ، اتخذت من الطـرس مناجيا ، تنقل اليه في صمت هاديء احاديث من القلب ، عن حياة فلسطين وابناء فلسطين ، وبنات فلسطين ، فهي ، وقد شهدت الكارثة ، ومرت بها ، وتمثلتها ، وفكرت فيها قبل وقوعها ، وبعد وقوعها ، وادركتهـا آلامها حين وقوعها ، تعيش من ذلك كله في دنيا لا تفرغ ابداً مـن علامات الاستنكار والاستفهام والاستغاثة والاستنفار ..

ذلك بان الكارثة اصابت هذا « القلب » النسائي الحاني ، في صميم آماله الوطنية العالية ، وهدمت كل ما يمكن ان يبنى في المستقبل ، بعـد ان طاحت بكل ما بني في الماضي ، ولم تدع للحاضر غـير الالم والحسرة والذكريات المريرة ، المثيرة ، المصعقة !

ولكن .. ليس هذا كل شيء ! هناك .. الى جانب ذلك القلب ، عقل نير ، ينظر للحوادث نظرة هادئة لا تخلو من نفاذ وجلد ، على ما يغلفها من توثب وقوة وحماسة .

جاء اهداء هذا الكتاب كما يلي :« الى تلك التي كانت كلها بلادنا ... والتي سنظل نغمس اقلامنا بدماء قلوبنا ، لنكتب عنها » اي ان فلسطين لا تزال كلها بلاد الفلسطينيين والفلسطينيات من ابناء العروبة وبناتها ، وستظل هي الهوى ، وهي القلب ، وان نزحوا عنها ، وستظل مـدار الاحاديث ، ووجهة الكتب ، في كل حديث وكل كتاب .. ولا اثر بعد ذلك للكارثة !! هذه هي الوطنية الصحيحة !

قدم هذا الكتاب الشاعر القروي ـ وهو الاديب اللبناني المغترب ـ متعجباً لاختيارها اياه في هذه المهمة ، قائلا بعد مقدمة قصيرة : « انهـا احاديث قلب كبير ، يزين عليه عقل كبير ، فهي الى ما تتسم به من رزانة وجد ومنطق ، جامعة اشتات النفاسة والجمال . احاديث شفافة ، هفافة ، قريبة بين المطلع والختام ، مقتصدة في اللفظ ، سخية في المعنى ، ينتقل فيها الطرف من باقة الى كأس الى قلادة ، فلكأنها اساريرٍ في وجـه الادب تفصح عن اعمق المشاعر ، بألطف الملامح .. »

لم يكن الشاعر القروي مغالياً ، ولا اضفى من عواطفه على الواقع شيئاً في تقريراته تلك ، بل احس انه عبر بما شعر ، من غير زيادة ولا نقصان . ولكن ما هي هذه الاحاديث التي جمت « اشتات النفاسـة والجمال » ؟

انها مجموعة مقالات وزعت على اربعـة اقسام هي : ١ ـ وطنيات ٢ ـ انسانيات ، ٣ ـ نسائيات ، ٤ ـ نفثات ، بعضها نشر في صحـف لبنان والعراق ، وبعضها انتظر هذا الكتاب فكان موعد نشرها وانتشارها .

والمقالة هي النوع الادبي الذي حظي في البلاد العربية باوفر العناية ، ونالت من الجهود ما لم ينله غيرها ، لا لانها سهلة ، ولا لانها في متناول كل كاتب ، في كل موضوع ، بل لان الصحافة العربية عملت على استثمارها ، ومهدت لها اكثر مما جهدت في سبيل القصة مثلا او المسرحية ، فكان من الطبيعي ان ينصرف ذوو المواهب الادبية ـ واديبات العرب على الاخص نحوها ، وان تطغى على ما عداها من الانواع الادبية .

الى القراء

•

الرجاء ان يأخذ الادباء والقراء علماً بأن صندوق بريد مجلة « الآداب » قد اصبح يحمل رقم ٤١٢٣ ، بدلاً من الرقم السابق ، كما ان رقم التلفون قد اصبح ٣٢٨٣٢ فيرجى الاتصال بالمجلة بواسطة هذين الرقمين الجديدين .

اشير الى هذه الظاهرة في تاريخ ادبنا الحديث ، وانا اتحدث عـن مقالات السيدة طوبي ، لاني لمست خلال مطالعتي كتاب « احاديث من القلب » افانين في القول ، والتفكير ، والتخيل ، تصلح لما هو ارحـب افقاً من المقالة ، وارقى في سلم التأثير في الناس ، وافعل منها في التوجيه والارشاد . لمست اني امام اديبة لا تكفيها « آلة التعبير » التي تستخدمها اعني المقالة ، في بيان ما تقول ، وما يمكن بعد ان تقول ، فهي اغنـى فكراً مما تظهر ، واقوى عاطفة مما يبين .

خذ مثلا مقالة « ادب القوة وشعراؤنا » حيث تنقد الشعر العـربي الجديد في موقفه من احداث التاريخ العربي المعاصر ، وتنعى على شعرائنا اتخاذهم الشعري ، وضآلة احساسهم بالكارثة. خذ هذه المقالة تجد انها تقول فيها اشياء كثيرة ، فلو توسعت بها لخلصت الى وضع مقاييس جديدة في النقد الشعري تجعلها في مصاف كبار النقاد . ولكنها كانت تراعـي الصحيفة ، والاثر الصحفي ، والوقت الذي هو في متناول يدها ، والقراء. اي انها كانت تكتب مقالة ، وتصميمها الاساسي هذا هو الذي ضيق ، ويضيق امامها آفاق البحث والتعمق ! وذلك لا يعني انها مسؤولة عن ذلك وانما يعني ان سهولة المقالة تضيع على الادب العربي كثيراً من الدراسات والمواهب .

ثم خذ بعد ذلك مقالة « دنيا بلا نساء » التي تعرض فيها امكان التحكم في الجنين وجنسه ، وتفترض ان « العلم وصل اخيراً وتحكم تماماً في الجنس فما الذي يحدث في الدنيا ؟ ستكون باديء الامر ثورة . كل سيدة وخاصة في البـلاد الشرقية ، ونحن منها ، تريد ذكوراً ... وتمر الاعوام فاذا بالاناث قلة ، واذا بالمرأة تحتل عرشها كشيء نادر الوجود ، وتبتديء مشكلة عويصة ، ولكنها ممكوسة ..

أرأيت الى طرافة الموضوع ؟ اية مسرحية رائعة ، مضحكة ، مفرية ، طريفة ، كان يكتبها حوله برنارد شو لو خطرت بباله ؟

قلت : برنارد شو ، ولكن ماذا يمنع ان تكتبها السيدة اسمى طوبي

مثلا لو كانت قد وجهت نحو نوع ادبي آخر غير المقالة ؟!

كل ما في هذا الكتاب من افكار منثورة ، وخواطر مبثوثة ، وآراء القيت هنا وهناك حول عديد المشاكل الاجتماعية والانسانية ، يؤكد ان ادب المرأة العربية مدعو للتخلص من « المقالة » والوقوف عندها . واذا وفقت الاديبة العربية ، اياً كان بلدها ، الى تخليص العرب ، الى انقاذهم من حلقة المقالة التي لا تزداد طولاً ولا عرضاً ، استطاعت ان تقود الرجال الى المجالات الواسعة وان تجعل من ادبهم شيئاً مفيداً ...

المهم ان تبدأ . وفي يدها ان تبدأ . هذا ما يكشف عنه كتاب « احاديث من القلب » .

عبد اللطيف شرارة

٤ كتب من تونس

نداء للعمل : ابو القاسم كرّو — نماذج بشرية : احمد رضا حوحو — مع الشابي : محمد الحليوي — تحريك السواكن : محجوب بن ميلاد

سلسلة « كتاب البعث » — تونس

•

معركتنا العربية هي معركة المصير ، المعركة التي تحاول بانتصارها ان تخلص المجتمع العربي من الكيان الزائف الذي علق به بعد ان توضعت فيه رسوبات الاوضاع الفاسدة منذ عصور الانحطاط . فهي ليست ابداً معركة سلبية تهدف الى التخلص من الاستعمار فحسب ، وانما هي في الوقت الذي توجه فيه الى المستعمر ضرباتها الجبارة في كل بقعة من الوطن العربي ، تقوم ببناء الاسس السليمة للكيان العربي سواء في الحقل السياسي او الاجتماعي او الفكري .

وتقوم بهذه المعركة جماهير الشعب المتوثبة في كل جزء من الارض العربية حيث يزداد عدد المشتركين في المعركة يوماً عن يوم وحيث يجد المستعمر نفسه بالتدريج في المأزق الذي لا بد له منه لينتهي الى الابد . والشعب العربي يدرك الآن بنضوج في بحر نضاله العنيف ، ان النضال السلبي الذي يهدف الى طرد المستعمر ليس سوى جزء من المعركة التي يقودها والتي يضع جميع قواه وامكانياته فيها .

ومظهر من المظاهر المشرفة لمعركتنا ضد المستعمر ، معركة المغرب العربي حيث يقدم للمعركة ما تستحق من بذل وسخاء وحيث يقدر الشعب تماماً في تلك البقعة العربية اهمية نضاله فيبرق الدم الغزير على مذبح ذاك النضال مليئاً بالبطولة والثقة بالنفس .

وفي غمار هذا النضال المشرف ، وفي الوقت الذي تنطلق فيه رصاصة البطل المدوية بحقه في الكرامة والحياة ، ينطلق تفكيره بتصميم لحياته المقبلة ، لمجتمعه السليم الذي يقوم ببنائه تحت وابل الرصاص ويدعمه بوابل الرصاص .

فالمعركة العربية هناك بالمنظمات العمالية والمنظمات الاجتماعية المختلفة والمحاربين على قمم الجبال ، تظهر بوجهها السلبي والايجابي واضحة الملامح عنيفة الاتجاه .

ولعل سلسلة « كتاب البعث » التي يقوم بتغذيتها بعض الشباب العربي في تونس ، نوع من المساهمة في الحركة النضالية . قد لا يستطيع هؤلاء الشباب ان يفوا مسئوليتهم النضالية حقها ، ولكن ما يهم ! انهم يقدمون باخلاص ما يستطيعون تقديمه .

اذكر في هذه المناسبة مطلع محاضرة القاها الاستاذ عبد الكريم زهور في سلمية ، فقال بأنه قد لا يجيد في محاضرته التي يود ان يلقيها ولكن ما يهم ! اننا مبتلون بمرض الاجادة : فالخطيب لا يلقي ما لم يقل ابلغ الكلام والشاعر لا ينظم ما لم تكن قصيدته في الاوج والكاتب لا يكتب ما لم يقدم خير ثمرات الفكر ، بينما مرحلتنا النضالية لا تنتظر ولا ترحم وكل لحظة من حياة امتنا العربية تتطلب النضال ، النضال العنيف .

الاجادة بالطبع ليست شيئاً ثانوياً ، بيد ان الاخلاص يجب ان يكون الرائد الاول للعمل ، والاجادة تأتي حسب الاستطاعة التي يمكن تقديمها .

تهمنا سلسلة البعث اذن من حيث هي عمل نضالي ، وتهمنا ايضاً من حيث تصل القارىء العربي بتفكير تلك البقعة العربية التي اسدل عليها المستعمر حجاباً وفصلها فصلا كاد ان يكون تاماً لولا ان شقه عرب تلك البقعة بنضالهم البطولي فاصبحوا يعيشون في قلب كل عربي وتفكيره في سائر اقطار وطننا . واذ احاول ان اتناول السلسلة بكلمة ، لا بد لي من ان اعترف بأن هذه الكلمة لن تكون سوى مجموعة ملاحظات سريعة قد لا تتصف بالموضوعية ، لان المواضيع التي تتناولها هذه الكتب متعددة ، والوضوح في الحديث عنها لا يأتي في بضعة سطور .

لنتناول في البدء « تحريك السواكن » للاستاذ محجوب بن ميلاد . وهو يتناول ضرورة بعث الفلسفة الاسلامية ويتكلم عن اهميتها ويقوم بعمل اولي في هذا السبيل فيستعرض بايجاز تأثير الحضارات الاخرى في الفكر العربي ويتناول بصورة خاصة طريقة التفكير اليونانية وتأثيرها ويأتي بمنطق المعتزلة كمثال على هذا التأثير ويعطي الملامة لا بأس بها عنه . ويلمس القارىء في هذه المحاولة للاستاذ محجوب غيرته العنيفة على الفلسفة الاسلامية ، وآلمه لحظها العاثر الذي ابعدها عن الجمهور العربي وعن تأثيرها على الجمهور العربي ليعيش في اجوائها ويتصل عن طريقها ببنائه العضوي ، بمنبعه ليحافظ على الاستمرار في بنيته عبر التاريخ . ويلمس القارىء شيئاً اخر هو ايمان الاستاذ محجوب بالبناء العضوي لهذه الفلسفة العربية في العصر الاسلامي ، البناء الذي يدعو الى ابرازه بعد ان انكر وجوده زمناً طويلا والتبس امره بالفلسفة اليونانية التي غذته فلم تدرك ملامحه الصحيحة او ملامح الفكر العربي فيه . فمحاولة الاستاذ محجوب هي دعوة للعمل في هذا الحقل القومي فيها الكثير من الاخلاص والحماسة .

ولكن ليسمح لي الاستاذ محجوب هنا بان امر مروراً سريعاً على بعض النقاط الاساسية المتعلقة بطبيعة العمل الذي يدعونا اليه . فنحن غالباً ما نضيع النظرة الرئيسية مهما حسنت النية حينما نحاول فهم البنية العضوية لفهم التاريخ العربي ، باقسامه المختلفة ، السياسية والفكرية والحضارية .. لسبب اساسي هو اننا نقصر هذا التاريخ على مجال زمني ضيق هو عصر الاسلام . صحيح ان انتفاضة الاسلام كانت جبارة جداً تدفقت فيها الامكانيات العربية تدفقاً قوياً وطفت بعنفها وقوتها على تفكيرنا وعاطفتنا معاً ، بيد ان هناك حقيقة لها اهميتها القصوى هي ان التاريخ العربي لم يبدأ مع الاسلام فقط ، الوطن العربي كان طيلة حياته الحضارية مقراً لموجات عربية ضخمة ترافق

التاريخ القديم ، بل ترافق اقدم الحضارات . والحضارات المختلفة التي انشأها العرب في مراحل تاريخية مختلفة تكون حلقات من سلسلة مستمرة وتكون بمجموعها البنية العضوية للتاريخ العربي .

هذه النظرة الرئيسية للتاريخ العربي ليست ضرورية من اجل المفخرة القومية ، وانما من اجل فهم تلك البنية العضوية وفهم طبيعة الامكانيات التي تتمتع بها الامة . واذا فقدنا هذه النظرة فاننا نفقد ملامح التمثال ولا نرى سوى جذعه ، فنفقد بذلك الانسانية العميقة التي يزخر بها هذا التمثال . وفي حالة البحث الفلسفي ، او البحث الفكري بالاحرى ، لا بد ان تصل حلقات التاريخ ببعضها لان الفكر اقوى الظاهرات الحضارية تمثيلا للاستمرار .

بدهي اني لا اتهم الاستاذ محجوب بالتقصير ، لان هذا عمل الامة العربية بكاملها في مرحلة حضارية كاملة حيث تتناول تلك الاوراق المبعثرة التي تناولها الاستاذ محجوب من بين ايدي المستشرقين ومن اعماق الارض اذا بقي في الارض من جديد ، وتبني التاريخ العربي من جديد ، بعد ان تسلط عليه اضواء جديدة . وبهذه المناسبة ، اوافق الاستاذ محجوب على ان المستشرقين تعبوا كثيراً في التنقيب عن التاريخ العربي والاسلامي وجمعوا وثائق لها اهميتها ، بيد انهم لم يستطيعوا ولم يحاولوا محاولة جدية ان يبنوا التاريخ العربي . لقد جزأوه كما جزأت دولهم الوطن العربي ولم يعطونا منه سوى قصاصات حضارية هي رغم هذا رائعة .

يخيل لي ان الاستاذ محجوب يربط اسم الفلسفة بالفلسفة اليونانية فقط وهنا ارى انه يجب الوقوف قليلا .

صحيح ان حظ الفلسفة اليونانية والحضارة اليونانية بمجموعها كان قوياً فانتقلت الينا انتقالاً شبه كامل ، وصحيح ايضاً ان الفلسفة اليونانية كانت خطوة جبارة في تاريخ الفكر الانساني حيث قدمت ، عدا نظرتها في تفسير الظاهرات ، اسلوبها في بناء تلك النظرة ، واعطت لفلسفتها التعريف وقدمت فلسفتها منسوبة الى فلاسفة ، وهذا كله ما جعل لها شخصيتها القوية التي طغت واثرت في الفكر الانساني بمجموعه لا سيما في القرون الوسطى وفي العصور الحديثة . اما اليوم وقد فتحت امام الفكر آفاق واسعة جداً ، وغيّر هذا الفكر جميع المفاهيم وبنى مفاهيم جديدة متجددة سواء فيما يتعلق بمواضيعه أو فيما يتعلق بتصنيفه لمعارفه . فان انكار الفلسفة على الحضارات القديمة لمجرد انها لم تقدم فلسفتها على الطراز اليوناني ، أمر لا يسلم به بسهولة .

ولا اخفي ان الاستاذ محجوب لم يقل هذا صراحة ، بيد انه خيل الي ذلك عندما مر عابرا على أن العرب في جاهليتهم لم يكن لديهم فلسفة ..

ان نكراننا الفلسفة على الحضارات القديمة لمجرد انها لم تقدم تفكيرها بالاسلوب اليوناني يشبه نكراننا الفلسفة على اليونان انفسهم ، لان تعريفنا اليوم للفلسفة يختلف ، او يختلف الى حد ما على الاقل ، عن تعريفهم . صحيح ان الحضارات القديمة لم تقدم لنا (فلاسفة) ولم تقدم (فلسفة) بالمعنى المصطلح عليه بيد انها قدمت نظرة للوجود وتفسيراً للظاهرات المختلفة الانسانية والطبيعية ، وتجارب انسانية عميقة . ورغم انها لم تقدم دوماً تلك النظرة صراحة ، فان هذه النظرة موجودة وعلينا نحن ان نفتش عنها . كل حضارة تنطوي على نظرة فلسفية وتقوم على مجموعة مسلمات فلسفية وتستحق هذه النظرة مهما كانت بسيطة وبدائية ان نعطيها الصفة الفلسفية لاننا اليوم بالذات لا نفهم الفلسفة سوى نظرة تكمن في المحاولات الانسانية .

ولا اقصد هنا ان اخالف الاستاذ محجوب في ان بضع حكم مبعثرة في الشعر الجاهلي لا تكون فلسفة . صحيح ان الشعر الجاهلي لا يكون فلسفة وانما الحياة الجاهلية بمجموعها تكون نظرة في الوجود وبالتالي تكون فلسفة ولكن لا بالتعريف اليوناني .

لعل الاستاذ محجوب يفهمني هنا تماماً ، ان الفلسفة اليونانية لا تمثلها آثار ارسطو فقط ، فالفكرة التي ينطوي عليها زيوس مثلا جزء من الفلسفة اليونانية ...

***

لن نقف طويلا عند الحلقات الاخرى من السلسلة ، فان « مع الشابي » للاستاذ الحلبوي يمثل كما يقول نظرته الخاصة للشابي ، وكما يقول ايضاً ليست النظرة للشاعر عامة بالضرورة لان الشاعر يتصل باعماق الانسان لا بمنطقه واسلوبه في التفكير فحسب . ولا بد ان اسجل للاستاذ الحلبوي هنا دفاعه عن الادب العربي وتوضيحه بعض النقاط الضرورية للمتأثرين سطحياً بالادب الغربي ، بيد اني لا اجد ما يمنعني من ان اقول ان الموضوع اعمق بكثير واعقد وانه لم يوف حقه .

اما « نماذج بشرية » ، فان الاستاذ حوحو قدم فيها بالفعل بعض نماذج رائعة ، بيد ان تناولها لم يكن فنياً بالمعنى الصحيح ، وكان الاستاذ حوحو في هذا التناول ملاحظاً اجتماعياً لا قصاصاً مع ان بعض نماذجه تستحق العناية الصادقة والتعب في سبيلها . واسجل له هنا اعجابي بعائشة والعصامي والعم نتيش .

اما « نداء للعمل » فهو مجموع محاضرتين للاستاذ كرو ، تؤلفان بالفعل نداء للعمل في ذلك القطر العربي ، وقد استعرض فيها النوادي والجمعيات في العراق حيث اتم تحصيله العالي وامكانيات العمل في تونس حيث شمر عن ساعديه في الحقل النضالي .

دمشق — **محمد الجندي**

شهر في روسيا

بقلم احمد بهاء الدين

منشورات دار النديم ، القاهرة — ١٦٠ ص

●

هذا الكتاب — وقد يكون واحداً من عدة كتب في طريقها للظهور — هو نتيجة لزيارة الوفد الصحفي المصري الى الاتحاد السوفياتي . وقبل ان اتحدث عن الكتاب ، لي رأي خاص في تلك الوفود التي تتقاطر الى الاتحاد السوفياتي من مختلف الهيئات في البلاد العربية .

الحقيقة ، ان هذه الوفود على انواعها انما تحدث لغرضين اثنين :

١ — توثيق العلاقات السياسية بين الاتحاد السوفياتي من جهة والبلاد العربية من جهة ثانية .

٢ — اطلاع هذه البلاد على مدى ما حققه الاتحاد السوفياتي من تقدم.

اما بالنسبة للغرض الاول ، فهو يتحقق مهما كانت نوعية الوفد. ولكن ما يخلق المشكلة ويوجدها هو الغرض الثاني بجميع ما يحيط به من ظروف وملابسات !

ففي حالة الوفد البرلماني مثلاً ، او حتى الوزاري ... ماذا تكون النتيجة ؟

النتيجة هي عودة كل فرد من افراد الوفد حاملاً معه بعض التأثرات والمشاهدات المعينة ، التي قد يحتفظ بها لنفسه ، او يتحدث بها الى بعض معارفه واصدقائه .. واخيراً قد يدلي ببعضها في احاديث صحفية متقطعة .. ثم يموت كل اثر لذلك !.. ولكن بالنسبة للوفد الصحفي فالحالة جد مختلفة ! فالصحفي بعد عودته ، يجد نفسه مضطراً للكتابة ، وذلك بدافعين :

١ – ايجاد المادة الصحفية .

٢ – مطالبة جماهير القراء اياه بابداء الرأي حول الاحوال القائمة .

ومع ان كل مـــا يمكن ان يكون قد رآه في هذه الرحلة لا يتجاوز بضعة نصب وتماثيل ، و كولخوزين او ثلاثة ، وبضعة مصانع ، واخـــيراً بعض المناحف المتناثرة .. اي ان كل ما رآه من الاتحاد السوفياتي لا يتعدى اخيلة تتراءى من وراء ستار .. مع كل هذا ، نراه ينغمر في كتابة اشياء كثيرة .. عن الحرية .. والدين ، والمرأة والعمل ، والحكم .. الخ .. في الاتحاد السوفياتي ! وهو في كل هذا الذي يكتبه (والذي يكتبه بعمق!) يكون واقعاً في الحقيقة تحت تأثيرين مختلفين :

١ – تأثير المشاهدات والمظاهر الخارجية التي قد لا تحمل الشيء الكثير من الحقيقة .

٢ – تأثير مطالعاته الخارجية عن هذه البلاد ، والتي قد تكون صحيحة او منحرفة تبعاً للعوامل المختلفة التي تحددها .

ولو ان هذه الكتابة كانت عن اميركا او فرنسا او انجلترا مثلا ، لما كان هناك اي اعتراض ، على اعتبار ان هذه الدول بنظمها واحوالها المختلفة ، وبجميع مـــا يحيط بهذه النظم والاحوال ، انما هي شيء واضح محدد ، ومعروف لدى الجميع . ولكن المقياس يختلف بالنسبة للاتحاد السوفياتي ، حيث تقوم هناك – كما يقول الاستاذ احمد بهاء الدين – اخطر تجربة اجتماعية عرفها التاريخ ، وذلك لان هذه البقعة من العالم بجميـــع نظمها واحوالها المختلفة سياسية كانت ام اقتصادية ام اجتماعية ، تقف اليوم كاستفتاء ضخم في حياة الانسان المعاصر ، وكل كلمة ، حتى ولو كانت نتيجة انطباع غير مسؤول ، لا يمكن الا ان تفسر على اساس انها رأي حول هذا الاستفتاء القائم .. على الاقل بالنسبة للجماهير الشعبية العربية – وكانا يعرف مدى تأثير الصحافة في توجيهها – وذلك لان هذه الجماهير ، تقف اليوم على ابواب تجربة حية ايضاً ، وهي كثيراً ما تحاول التطلع الى ما يجري هناك .. في هذا الاتحاد .. ونظراً لضآلة ما يتسرب من معلومات ، تجد هذه الجماهير نفسها مدفوعة الى الايمان بكل ما يقال ، فقط .. مجرد ان يقال .. حتى يصبح شيئاً ثابتاً لدى هذه الجماهير .. ليدخل بعد ذلك في توجيه تجربتها الحية .. تلك التي تتهيأ لخوضها الآن .

ولكن مع كل ذلك ليس بامكاني ان اتخلى تماماً عن التحفظ في سؤالي: هل هذا هو ما يبغيه الاتحاد السوفياتي من وراء هذه البعثات .. وعلى الاخص البعثات الصحافية ؟!

ولكن .. مهما يكن من امر ، فمن هنا تنبع اهمية الكلمة المسؤولة في مثل هذه الاحوال ، اذ فلينظر كل فرد الى ما يمكن ان تحققه من انحراف وتشويه بضعة كلمات طائشة لا تقوم على اية مسؤولية تعتمدهـــا تجاه حياتنا القائمة ! فقط كل ما تقوم عليه هو انها مجرد ادب رحلة او مشاهدات !

ولكل ذلك ، تمنيت – بعد فراغي من قراءة الكتاب – لو ان الاستاذ احمد بهاء الدين لم يخرج علينا بهذا الكتاب !

والاستاذ احمد بهاء الدين آمن منذ البداية بانه لن يكون بامكانه الوصول الى الحقيقة .. انما كل ما يمكن ان يطمع فيه هو ان يسجل انطباعاً امينا عما يشاهده هناك .

ولكن هذا الانطباع قد يكون امينا بالنسبة للاستاذ بهاء الدين ، على اساس انه يقف كحالة استقبال او تلقٍ ، ولكن هذا الانطباع يظل بحاجة الى تمحيص ، لمعرفة مدى امانته بالنسبة للحالة التي يعبر عنها من الجهة المقابلة ، والتي تقف كحالة ارسال في هذه العملية . هذا من جهة ، ومن جهة ثانية نشاهد ان ابرز ما يميز هذا الانطباع – على امانته او انعدام هذه الامانة – هو سطحيته التي تأتيه من المشاهدة العابرة والتطلع السريع ، ولنأخذ مثلاً الكولخوزات كمثل هام يوضح لنا هذه الناحية .

فكلخوز (كالينين) هو احد الكولخوزات التي زارها المؤلف ، فاذا كان بامكانه ان يكتب نتيجة هذه المشاهدة السريعة؟!.. كل ما كتبه المؤلف عن الكولخوز لا يتعدى الاشياء الظاهرة والسطحية: «مساحة الكولخوز .. عدد سكانه .. نسبة العاملين .. عدد الحيوانات التي يملكها ، ثم اشراف ادارة الكولخوز على العمل ، وتوزيع انتاجه على الافراد في صورة اجر يتناسب مع مقدار العمل .. » .. ثم لا شيء بعد ذلك !

ولكن مثلا .. ارتباطات الافراد بالادارة ، وما يمكن ان يحدد هذه الارتباطات في مختلف الاحوال ، ثم الاسس التي تقوم عليها علاقة الافراد بعضهم ببعض ، وارتباط كل من الافراد والادارة بشكل واضح محدد .. كل هذا لم يكن بامكان المؤلف ان يذكره .. وبالتالي فـــان ذلك الوصف السطحي للكولخوز سيظل يسيطر على الاذهان ، وسوف يحدد بالتالي – بالنسبة لنا – كل ما يتعلق بهذا الكولخوز ، وذلك على اساس من هذا الوصف السطحي ! ومن الجلي ان عدم توفر الامكانيات المختلفة للمؤلف ، للنفوذ الى الحقيقـــة ، لا يبرر هذا العرض السطحي الجزئي لها !

ومن كتابة المؤلف ، سواء عن كولخوز كالينين ، او عن الكولخوز الآخر الذي شاهده في طشقند .. يستطيع الوصف ان يجعلـــك تحس بالارتياح والدعة .. حيث يمكنك ان تعمل بالقدر الذي تحدده لنفسك ، ما دمت ستأخذ ما يتناسب مع عملك من اجر ، وعلى كل الاحوال فانت تعيش في بيت نظيف مزود بالكهرباء ، وحوله مساحة نصف هكتار .. وحيث يمكنك ان تأكل حتى التخمة ، وان تنعم برئيس لطيف (كحمر اقول) ، ضخم الجثة ، تزين صدره الاوسمة والنياشين !

لقد ذكر المؤلف ذلك ، ولكن لم يكن بامكانه ان يكتب عن تلك المزرعة التي عاش فيها الشاعر السوفياتي ياشين ، وعن الطريقة التي كان يعاقب بها رئيس المزرعة .. يوم احتلت الارض في احدى السنوات ! لم يكن بامكانه ان يسجل ذلك ، لانه لم يشاهده او يتصل به .. ومع ذلك فهو يظل كجزء هام من الحقيقة التي تحدد طبيعة الكولخوز وكيانه في الاتحاد السوفياتي .

وهكذا ، فان هذا الانطباع – على امانته بالنسبة للمؤلـــف – ظل بحاجة الى التمحيص لتحديد مدى امانته بالنسبة للصورة الـــتي يعبر عنها !

ولكن هناك اشياء كتب عنها الاستاذ بهاء الدين ، واستطاع ان ينفذ الى حقيقتها .. تلك هي الاشياء المادية التي تشكل في الحقيقة الموضوع الرئيسي لرحلة خاطفة من هذا النوع .

وهذه الاشياء تنحصر في : الشوارع ، الحدائق ، النصب ، المتاحف ، والمواقع والمدن والاثار ..

اما الفصول التي ضمت هذه الاشياء التي استطاع المؤلف ان يلم بها في هذه الرحلة ، فهي : (كييف ، كنوز موسكو ، الشارع في موسكو ، مصيف ستالين ، ستالينجراد ، لينينجراد) . اما بقية الفصول : « من الذي يحكم روسيا ، الفن والصحافة والادب ، والمرأة والزواج والحب .. » هذه الفصول كانت نتيجة بحتة لمطالعات المؤلف الخارجية ، والتي كان باستطاعة المؤلف ان يكتبها دون ان يحمل نفسه مشقة السفر الى تلك البلاد .

فالاستاذ بهاء الدين لم يكن بحاجة الى السفر إلى الاتحاد السوفياتي حتى يعرف مثلا ان ستالين كان ديكتاتوراً ، وان النظرية هي التي تحكم روسيا ، او ان الادب لا ينمو في جو من الحرية ! وعلى هذا الاساس ، فالمؤلف كان يبتعد في كثير من الاحيان عن جو الرحلة التي كان من الواجب ان يكتب الكتاب من خلالها .

ومرة اخرى اقول ، لو ان الاستاذ بهاء الدين احتفظ بهذه الانطباعات ، او حتى لو انه جاء بها في نمط آخر .. في نمط الصفحة الاولى مثلا ، التي اهدى فيها الكتاب الى نورية اسماعيلوفا .. تلك التي كانت اجمل شيء في الكتاب ، وفي الرحلة على ما اعتقد ..! لو ان هذا حدث .. اذن لكان بين ايدينا كتاب آخر .. جد مختلف عن هذا الكتاب الذي يطالعنا الآن !

طرطوس — عبد الله يونس

امرأة ورجلان

تأليف ليونارد فرانك ـ ترجمة الاستاذ منير البعلبكي

دار العلم للملايين ، بيروت ـ ١١٢ ص

•

فرغت مؤخراً من قراءة قصة « امرأة ورجلان » او « كارل وانا » للقاص الالماني الكبير ليونارد فرانك ، وهي من كنوز القصص الانساني العالمي التي تصدرها دون انقطاع دار العلم للملايين والتي يتولى ترجمتها الاستاذ منير البعلبكي .

والقصة تستدعي التأمل العميق لما تحتويه من معان انسانية شاملة تغنى بها شعوب الارض على اختلاف بيئاتها وتفيد منها كل امة شقيت بالحروب واصطلت باوار الحديد والنار .

وهذه القصة لا تعدو كونها قصة كتبت على سبيل الاخبار كما يظن للوهلة الاولى ، فموضوعها وان كان من الحياة مستمداً لا يعني ان ليس لكاتب فضل غير فضل الوسيط الذي ينقل الى حيز الكلمة حوادث جرت في جو من الواقعية والصدق . بل فضل الكاتب انه جل الواقع بما خلع على ابطاله من رسوم حية تحكي الواقع والخيال القصصي في وقت معاً ، وبما ادخله على قصته من « حواش » قد تكون من حيث المحصول قليلة الفائدة ولكنها بالنسبة الى السرد والتكامل النفسي جليلة القدر . فالشوكة ذات الاسنان اللامتساوية ، والاواني المنزلية الاخرى التي يأتي ذكرها مراراً وتكراراً لا تؤثر على ما اعتقد في موضوع القصة ولكنها على اي حال تؤكد لنا ان الكاتب لم يرد ان يرتفع عن الواقع ليظل التكافؤ قائماً بين الموضوع العام المستمد من الحقيقة الالمانية ، وبين النوافل من شروح واوصاف هي في رأي بعضهم ـ كعباس العقاد ـ من مزيدات القصة يستطيع الكاتب انّ يسويها حسب ذوقه الخاص لتعلقها بالاطار ولعدم تأثيرها على الصورة وهي هنا الموضوع الا من الخارج.

والذي يحمد عليه الكاتب ايضاً البساطة في التعبير وفي الاداء ، ثم حسن الدراسة النفسية لابطاله الثلاثة وخصوصاً « انا » . فقد تلبست هذه عدة شخصيات وارتدت عدة وجوه . فهي تارة وجودية لا تعبأ بالقيم الاخلاقية عندما تأمرها بالصبر وتدعوها الى التضحية على حساب العيش الهنيء ، وهي تارة اخرى جبرية لا تستطيع شيئاً امام العوارض الطبيعية والالهية ، بل هي مجرد امكانية . فانظر الى قولها مخاطبة « ريتشارد » وقد ارادت ان تبرر انحيازها نحو « كارل » : « انا لا استطيع ان اعيش مع احد سواه ! لقد قدر علي ذلك يا ريتشارد ، لقد قدر علي ذلك . » فاين وجودية « انا » هنا ؟ لقد سحقتها آلة القدر الجبارة . وقد نراها في بعض الاحيان متعلقة بالارض تحتكم الى الواقع في كل شيء فلا مكنة لها عن ان تحيد عن المصير المحتوم اذا داهمها وقطع عليها منافذ الخلاص « .. مهما يقع فليس في استطاعتي ان اصنع شيئاً اذا ما قتلني عند عودته فلن اغفر بنفسي من ذلك المصير ..»

وهكذا نجد نفسية « انا » تتأرجح بين وجودية وجبرية وواقعية ، خطوط في الفلسفة ثلاثة تمثل من خلال شخصية « انا » النزعات الالمانية بعد الحرب فالوجودية هي تيقظ النفس الالمانية على نداءات « ياسبير » و « هيدجير » ، بعد ان سارت زمناً على مباديء « كنت » الاخلاقية . ثم جبرية متطاولة غذتها في الشعب الالماني روح دينية ، ولكنها ما ان تضاءلت قبل الحرب على يد النازيين والنزعة النيتشية ، حتى عادت غداة انتهائه وقد اثبتت بدعائم قوية . والقدر الذي آمنوا به لم يكن ليجرهم الى التواكل والقنوط والكفر بسنن الحياة ، بل انه ظل يدور عليهم من خلال العقائد المجردة لا ينزل الى مجال التطبيق او يمس الواقع الحياتي فيبدل في مجراه . اما الواقعية فهي الميزة التي لم تفارق الشعب الالماني لا قبل الحرب ولا بعده . ومما زادها رسوخاً تكاثر الحوادث وتوالي المصائب ، فعلق الالمان بالارض وآمنوا بالواقع ايمانهم بوحدة المصير .

هذه الجولة القصيرة حول شخصية « انا » لم تكن الا لتبرز الناحية النفسية للقصة . « فانا » هي مدار الجدل لما تبيت في ذاتها من احتمالات وتضارب اقوال . فمن قائل انها لم تكن على علم بان « كارل » هو زوجها عندما احسنت وفادته ، ومن قائل انها كانت على علم . ومهما يكن فشخصية « انا » هي اعمق بكثير من شخصية « كارل » و « ريشارد » كما انها اقرب الشخصيات الى قلوب القراء .

واخيراً فالشيء الذي لا بد من ذكره في هذا المجال هو عدم تقيد كاتبنا بفزيولوجية القصة عكس ما يفعله كثير من الكتاب المعاصرين ، فانهم قبل الشروع في التأليف يجهدون في ابتداع عقدة لرواياتهم ويدأبون في تسيير الحوار حسبما تمليه القوانين المدروسة ، ثم يعملون بعدها على ايجاد طريقة مؤاتية لحل الانشوطة في النهاية . وكثيراً ما تعود دراسة كهذه

كتب وردت الى المجلة

(وسينقد بعضها في اعداد قادمة)

* الخطيئة بقلم رضاء الدين حيدري
قصة – توزيع مكتبة الامل، بغداد – ٨٠ ص
* نذير العاصفة بقلم عادل الاعور
مجموعة قصص – توزيع المكتب التجاري – ١١٦ ص
* الحياة الحزبية في سوريا بقلم محمد حوب فرزات
دراسة – منشورات دار الرواد بدمشق – ٢٦٤ ص
* الدوامة بقلم جان بول سارتر
ترجمة مروان الجابري – المؤسسة الاهلية للطباعة والنشر – ١٦٨ ص
* حديث اليوم والغد بقلم محمد العربي الخطابي
ابحاث – تطوان – ١٠٠ ص
* الشيرازي بقلم جعفر آل ياسين
دراسة – مطبعة المعارف ، بغداد – ١٤٧ ص
* الشعر وقضيته بقلم ابراهيم العريض
دراسة – منشورات صوت البحرين – ١٦٨ ص
* زورق الغياب بقلم رياض معلوف
ديوان شعر – المكتبة العصرية بصيدا – ١٢٠ ص
* العالم وانشتين تأليف لنكولن بارنت
ترجمة محمد عاطف البرقوقي – سلسلة « اقرأ » – ١٢٨ ص
* العيون الظماء للنور بقلم يوسف الخطيب
ديوان شعر – المطبعة العمومية بدمشق – ١٠٢ ص
* الكاظمي شاعر العرب بقلم عبد الرحيم محمد علي
دراسة – مطبعة الغري الحديثة (النجف) – ١١٢ ص
* الوجود والماهية بقلم الاب بولس مسعد
دراسة – مطابع دار « الصياد » – ١٣٢ ص
* التضليل الشيوعي بقلم سليمان عواد
دراسة – ٨٤ ص
* شفق الاحلام بقلم محمد سعيد المسلم
ديوان شعر – مطبعة دار الكتب بيروت – ١٢٨ ص
* من القصص الانكليزي ترجمة نعمان ماهر الكنعاني
مجموعة قصص – شركة التجارة والطباعة ، بغداد – ١٢٠ ص
* الهند والغرب بقلم علي ادهم
سلسلة اخترنا لك – دار المعارف بمصر – ١٣٠ ص
* الملك سيف باشراف علي ناصر الدين
دراسة – دار الحكمة ، بيروت – ٧٦ ص
* مثلهن الاعلى بقلم عبد الله العلايلي
دراسة – دار الحكمة – ١١٨ ص
* اربع نساء بقلم ناجي حمدي
رواية – مطبعة المعارف ، بغداد – ٩٨ ص
* مجلة معهد المخطوطات العربية التابع لجامعة الدول العربية
المجلد الاول ، الجزء الاول – مطبعة مصر – ١٦٠ ص
* زوايا بقلم سلمى الحفار الكزبري
قصص وحكايات – دار المعارف بمصر – ١١٦ ص
* في زحام المدينة بقلم انور شاؤل
مجموعة قصص – شركة التجارة والطباعة المحدودة ، بغداد – ١١٠ ص
* شهريار بقلم عزيز اباظه
مسرحية شعرية – مطبعة مصر بالقاهرة – ١١٥ ص
* محاضرات في اقتصاديات سوريا بقلم الدكتور احمد السمان
منشورات معهد الدراسات العربية العالية ، القاهرة – ١١٦ ص
* مصادر الحق في الفقه الاسلامي بقلم الدكتور عبد الرزاق السنهوري
منشورات معهد الدراسات العربية العالية ، القاهرة – ٢٤٢ ص
* محاضرات في اقتصاديات العراق بقلم الدكتور عبد الرحمن الجليلي
منشورات معهد الدراسات العربية العالية ، القاهرة – ٢٦٦ ص
* وثائق ونصوص (١) دساتير البلاد العربية
منشورات معهد الدراسات العربية العالية ، القاهرة – ٤٣٠ ص
* احوال السكان في العالم العربي بقلم الدكتور عزة النص
منشورات معهد الدراسات العربية العالية ، القاهرة – ٣٢٦ ص
* اوراق اديب بقلم علي الزين
دراسات – دار الفكر ، بيروت – ٢٣٦ ص
* من روحي بقلم جوزفين بايكر
شعر عامي – مطبعة النصر ، بيروت – ١٦٠ ص
* الغرفة الصينية بقلم فيفيان كوتل
ترجمة انيس صايغ – منشورات المؤسسة الاهلية – ٢٦٤ ص
* اباطيل بقلم يوسف نمر ذياب
مجموعة شعر – مطبعة المعارف ، بغداد – ٦٦ ص

بالويل على الاثر ان لم يكن في حوزة القاص قبل البدء في التاليف رصيد لا يستهان به من الثقافة ومن الاصالة وخصوصاً من الخيال المجنح . وكلما سار الكاتب في ركاب النواميس والضوابط كلما اتت قصته خالية من كل حياة ، لا ماء فيها ولا رواء ، فيها عنت شديد وتصنع لا سبيل الى انكاره . اما « لبونارد فرنك » فيمكننا ان نعده بحق من رواد القصة الحديثة التي لم تقطع صلتها بالمدرسة القديمة اي بمدرسة « دستويفسكي » ، و « اميلي برونتي » و « جين اوستن » و « بلزاك » وغيرهم من كبار القصاصين الذين لم يدرسوا على ما اعتقد قبل الشروع في الكتابة فيزيولوجية القصة ، او الموا قبل البدء في العمل بدقائق الحوار ، بل اتت اكثر قصصهم نتيجة لتجربة حياتية معينة : فاعملوا عندئذ خيالهم واخذ بعضهم « كاميلي برونتي » توسع دائرة المجهول وتغوص على سرائر النفس الانسانية بتدرج سليم ؛ فتمر بالعقدة مروراً عفوياً طبيعيا ثم يتوالى الحوار في نسق موحد واخيراً تنحل الانشوطة بدليل التهيئة والسياق البحثي المنظم .

على يد هذه المدرسة تنفذ « ليونارد فرنك » . فاقام قصته على حس الانتظار ، خلة من خلال الرواية تبين لنا مبلغ صدق الكاتب في صياغة قصته ، وابتعاده عن الصنعة والتكلف . ولي كلمة اخيرة اقولها في نهاية هذه السطور وهي ان يركن الكاتب الى ذاته في التأليف وخصوصاً كاتب القصة وان لا يحل محل الوجدان قاعدة او مبدأ نهله من خارج ، ليكون له بعد ذلك « ادب حق لا ادب صناعي » .

اميل المعلوف